



مقال

مصر للمصريين ولو كان المغرب بيد البريطانيين

من

إصدارات

موقع فضيلة الشيخ العلامة

محمد نفي الدين الهلالي

www.alhilali.net

النسخة الأولى

سمعنا في هذه الأيام الإذاعات المحورية تردد بجميع اللغات كلمة "مصر للمصريين". و هذه الكلمة حلوة في آذاننا، لأننا حق، و الحق يخلو سماعه. و نسأل الله أن يقر أعيننا و أعين إخواننا المصريين بتحقيقها، هذا ما نقوله نحن و أما درسها و اعتبارها فهو من حق المصريين و حدهم.

قال لي صاحبي و هو يحاورني و يشاغبي: لماذا لم يقولوا أيضا المغرب للمغاربة؟

فقلت: أي المغرب تعني فقد صارت و يا أسفاه مغارب، بعدما كانت مغربا واحدا؟

فقال: أما عندي أنا فلم تزل كلها مغربا واحدا و هو للمغاربة و حدهم.

فقلت: ويحك، فمن أنت حتى يكون لك (عند) لقد ذكرتني بيت قديم يحق لي أن أوردته فيك و هو:

يقولون هذا ليس بالرأي عندنا *** و من أنتم حتى يكون لكم عند

فقال: لي (عندي) ولك (عندك) {إن ضللت فإنما أضل على نفسي و إن اهتديت فبما يوحى إلي ربي}.

فقلت: صلاة الله و سلامه عليك، متى نزل عليك الوحي؟

فقال: لو غيرك قالها يا أبا شكيب... ألا تعلم أن الوحي بمعناه اللغوي ليس خاصا بالأنبياء بل و لا ببني آدم؟ ألا تقرأ قوله تعالى: {و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا}.

فقلت: اللهم غفرا، صدقت ولعمري إنك في اللغة و الأدب لفيق و إنك بهما لخبير. و لكنك في السياسة قاصر. أما تعلم أن لكل مقام مقالا، و أن لكل شيء سببا داعيا؟

قال: أجل، فما سبب جعل مصر للمصريين دون أن يكون المغرب للمغاربة؟

فقلت: سبب ذلك فيما أرى أن مصر بيد بريطانية و لو كان المغرب بيدها أيضا لسمع تلك الكلمة بجميع اللغات.

فقال: و ما دليلك على ذلك؟

فقلت: دليلي أن هذه الكلمة العذبة قد سمعها العراق و الشام و معها فلسطين و سمعها الهنود و كلهم بيد البريطانيين.

فقال: فالمغرب بيد فرنسة، و هي شر كما زعمت أنت في مقال نشرته من بريطانية ألف مرة.

فاعترتني حدة لقوله زعمت فقلت: كأنك لم تصدقني،

فقال: لم أكذبك. و العرب تقول زعمت دون أن تقصد التكذيب، كما تقولها مع التكذيب.

قلت: قد قال الشافعي رحمه الله: كل زعم في كتاب الله فهو باطل. قال تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا}.

فقال: صدق الشافعي. ذلك في القرآن. و قد ورد في الحديث و كلام العرب استعمال زعم بدون قصد التكذيب. فدع

الحدة و أخبرني لماذا لم تهتم دول المحور بالمغرب، مع أنه يعاني شرا مما تعاني البلدان التي في يد بريطانية؟

فقلت: لأن المغرب في يد فرنسة. و فرنسة اليوم منهزمة مطحونة (مخلي دار بوها) لا يعبأ بها و لا بما تحت يدها. و العبد و ما كسب لسيدة.

فقال: آه، ما أبلدني، الآن عرفت. ساحني يا أخي لقد أتعبتك.

فقلت: ساحك الله. و على كل حال فإن تحرير بلدان إخواننا العرب و الهنود إذا تم يسرنا كثيرا. و قد قال الصوفية: الناجي منا يأخذ بيد صاحبه و إن لم يأخذوا بأيدينا فقد قال الشاعر:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا *** خراش و بعض الشر أهون من بعض

هذا و لم تقتصر دولتنا المحور على التصريح باستقلال مصر بل ضمنا إليها السودان أيضا. و قالتا إن هذا الاستقلال لن يكون مقيدا أعزل كالأستقلال الذي أعطته إياها بريطانيا. بل يكون مطلقا و معززا بجيش مسلح يحمي الحمى، و لو كان المغاربة اليوم في يد بريطانيا بدلا من فرنسة لم يكن لهم بد من الصلي بنار الحرب. و هم قوم يحبون العافية على حال، و يفضلونها على الغنيمة.

فقال لي صاحبي: و هل سلم المغاربة من ويلات الحرب؟ ألم تقدم فرنسة رجالهم و أموالهم طعمة لحرها الخاسرة؟ ثم رجعت عليهم بعد كسرتها فأكلت ما بقي بأيديهم و لا تزال تنهب حتى الآن. فيا ويلتي من فرنسة إن غلبت و يا ويلتي منها مرتين إن هزمت و غلبت فهي بئس القرين. من قرن معها لا يفارقه الشقاء أبدا حتى تفارقه الحياة أو تفارقه فرنسة .

ثم قال لي صاحبي: الآن تذكرت لك مسألة عويصة فاشدد حيازيمك للجواب.

فقلت: هات مسألتك و لا أدعي أنني بكل شيء عليم. فإن كان عندي جواب قلته، و إلا فإن "لا أدري" دائما حاضرة عندي لا يشق علي أن أقولها.

فقال: ما تقول في بلاد الشام التي سهاها الترك في عهدهم سورية تبعا للفرنح، لو بقيت بيد الفرنسيين، هل كانت تواعد اليوم بالاستقلال أم لا؟

فقلت: يا أخي من أين تأتي بهذه المعضلات؟ لقد عنيتني و أنعبتني بمسائلك. و ما لنا و للجواب عن الفرضيات المقدرة؟ حسبنا أن بلاد الشام الآن بيد بريطانيا. و قد وعدت و ستوعد بالاستقلال كما وعد جيرانها و كفى.

فقال: دع الروغان. أنا لا أطلب منك أن تنظر إلى اللوح المحفوظ فتخبرني به، كما يزعم بعض المتصوفين المستقطين أنه يفعل ذلك. قل رأيك في هذه المسألة كما قلته في غيرها.

فقلت: أما إذ أبيت إلا أن تسمع رأيي فدونكه، و أنا بريء من المهدة، {إن أظن إلا ظنا و ما أنا من المستيقنين}. في ذلك تفصيل، فأما لو اتفقت فرنسة التي كانت ملتزمة بلاد الشام مع دولتي المحور و حمت بلاد الشام بسيفها من غزو بريطانيا فإن بلاد الشام لا تسمع من الوعود إلا ما سمعه المغرب أي لا تسمع شيئا. هكذا يقتضي القياس و هو يصيب و يخطيء.

قال: و ما رأيك في مستقبل المغرب، فقلت:

و أعلم ما في اليوم و الأمس قبله *** و لكنني عن علم ما في غد عم